الموضوع	الصفحة

المستخلص ---------- أ

المستخلص باللغة الإنجليزية ---------- ب

- الشكر والتقدير ---------- ج

-الإهداء---------- د

-المقدمة---------- 1

-التمهيد ---------- 8

-الفصل الأول: **(الكوارث الطبيعية)**---------- 26

أولاً-القحط والمجاعات ---------- 27

ثانياً-الغلاء ---------- 34

ثالثاً-الأوبئة والأمراض---------- 47

رابعاً-السيول والأمطار---------- 73

خامساً-السموم والريح---------- 78

سادساً-الحرائق ---------- 80

سابعاً-الجراد ---------- 81

الفصل الثاني: **(الكوارث البشرية)** ---------- 82

أولاً-الصراع على السلطة ---------- 83

ثانياً-النزاعات الإقليمية---------- 160

ثالثاً-الاضطرابات القبلية ---------- 164

رابعاً–فتن واضطرابات أخرى ---------- 170

الفصل الثالث: **(تأثيرات الكوارث)** ---------- 180

أولاً: الفوضى السياسية ---------- 181

ثانياً: الانفلات الأمني ---------- 182

ثالثاً: الأضرار التي لحقت بالحرمين الشريفين ---------- 186

رابعاً: الخسائر البشرية ---------- 189

خامساً: الخسائر المادية:---------- 197

1– الأضرار التي لحقت بالمدن ---------- 197

2– الأضرار التي لحقت بالمنشآت والمرافق---------- 207

سادساً: الإضرار بالتجارة وطرقها---------- 210

سابعاً: الهجرة والنزوح ---------- 216

ثامناً: التأثير على موسم الحج ---------- 221

تاسعاً:تأثر الحياة الاجتماعية والفكرية ----------

عاشراً: تفاعل الأدب مع الكوارث (أدب الكوارث) ---------- 243

حادي عشر: الآثار النفسية ---------- 253

الفصل الرابع: **(الجهود الرسمية والأهلية في مواجهة الكوارث)** – 255

أولاً: مواجهة بعض المشكلات السياسية---------- 256

ثانياً: التدابير الأمنية ---------- 261

أ– تطبيق القانون ومكافحة الجريمة ---------- 261

ب– مواجهة الحوادث الأمنية على الطرق ---------- 263

ثالثاً: تأمين طريق الحج ---------- 271

رابعاً: التعامل مع مشكلات البادية ---------- 279
خامساً: الإجراءات المتخذة للحد من ظاهرة الغلاء ---------- 284
أ- تحديد الأسعار ومراقبتها ---------- 284
ب- العملة ومكافحة تزويرها---------- 285
ج- إجراءات القضاء على الاحتكار التجاري ---------- 288
سادساً: جهود الإغاثة ---------- 290
سابعاً: إعادة الإعمار---------- 296
ثامناً: التدابير الصحية في مواجهة الأوبئة ---------- 306
- الخلاصة---------- 317
- المصادر والمراجع---------- 323
- الملاحق ---------- 337
- الملخص ----------
- الملخص باللغة الإنجليزية ----------

المقدمة

كثيرةٌ تلك الدراسات التي تناولت الحجاز وجوانب من تاريخه السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي عبر عصوره المختلفة. إلا أن موضوع الكوارث التي حلت بالإقليم عبر تاريخه يُعدُّ من الدراسات التي تكاد تكون نادرة. وهذا الرأي يمكن تعميمه على المدرسة التاريخية العربية الحديثة، حيث ما يزال هذا الاتجاه في الدراسات التاريخية جديداً. في حين أن أوروبا قطعت شوطاً بعيداً في دراسة الكوارث. وعلى ضوء نتائج دراسة الكوارث تتجلى مدى الفائدة التي يمكن أن يجنيها المؤرخ من دراسة الكوارث واستغلالها في التعليل التاريخي لكثير من الحوادث التاريخية وفق منظور جديد. إضافة إلى أن دراسة الكوارث في التاريخ يعد نمطاً جديداً في معالجة التاريخ المحلي، ومساهمة جادة في المعرفة الواعية بالتاريخ.

إن بلاداً كالحجاز كان يعيش – كغيره من البلدان – في رهان دائم مع الظروف الطبيعية حيث كانت أوضاعه تتقلب بين العطاء والشح، والنعيم والبؤس.

لقد كان انقطاع نزول المطر يعني قلة المحصول الزراعي، وهلاك المراعي، ونفوق الماشية وهي مشكلة واجهت الأهالي طيلة تاريخهم حاضرة وبادية.

وكان الجراد – في تلك الأزمنة – سبباً آخر من أسباب القحط، فإذا حلت أسرابه ، فإنها كانت كفيلة بأن تقضي قضاء تاماً على الحياة النباتية في الحقول والمراعي.

وعندما يحل القحط نتيجة لشح المطر، أو لهجوم أسراب الجراد، فإنه كان يأتي في أعقاب ذلك الغلاء والجوع المهلك الذي يتسبب في حدوث مجاعات وهلاك للناس بالمئات أو الآلاف. كما يجبرهم ذلك على الرحيل– لاسيما أهل البادية– إلى مناطق أخرى جديدة.

من جهة ثانية، فإنه إذا كانت أمطار المناطق الصحراوية أو شبه الصحراوية –كما هو الحال بالنسبة للحجاز_ توصف بقلتها وندرتها، فإنها كذلك توصف بالتذبذب والفجائية. ففي حين قد ينقطع هطول المطر لأشهر، وربما لسنوات، فإنه في بعض الأحيان. كان يهطل بمعدلات كبيرة في شكل أمطار غزيرة تتحول إلى سيول عارمة كان يشتد خطرها في إقليم كالحجاز أشتهر بأوديته الكثيرة والخطرة.

لقد كانت تلك السيول الفجائية المدمرة تجرف معها الأشخاص والبيوت والبضائع، وكل ما تصادفه في طريقها.

من جهة ثانية، فإنه عندما كان يحدث القحط والمجاعة والغلاء، ويصبح أمر الحصول على الغذاء أمراً عسيراً أو مستحيلاً، فإن مناعة جسم الإنسان تصبح ضعيفة بشكل يسهل معه الإصابة بالأمراض الفتاكة والخطيرة التي كانت شائعة في تلك الأزمنة.

والمتصفح لكتب التاريخ متتبعاً كوارثه الطبيعية سيرى أن تلك الكوارث كانت كالسلسلة متعددة الحلقات كان يزيد من مأساويتها تلك الكوارث من صنع البشر من حروب ونزاعات. والدارس أو الباحث في تاريخ الحجاز سينتهي إلى أن كوارثه قد تضافرت مع بعضها البعض. فقد عاش الحجاز واحداً من أطول النزاعات في المنطقة تمثل في الصراع على السلطة في مكة. ذلك الصراع الدامي والمرير الذي كانت تغذيه أطراف داخلية وخارجية، ليدفع الحجازيون ثمناً له كلفة باهظة من أمنهم واستقرارهم. هذا فضلاً عن مشكلة الاضطرابات وحوادث الشغب التي تكررت خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين /الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

ومن يؤرخ للكوارث في الحجاز لا يمكنه أن يتناولها بمعزل عما كان يقع في مواسم الحج حيث كانت هذه المناسبة الدينية تتحول إلي كارثة مأساوية بسبب ما نالها من اضطراب أوضاع الإقليم خلال هذه

الفترة، فكانت قوافل الحج عرضة لحوادث الاعتداء.

من جهة ثانية فإن الزحام، ومقدم مصابين بعدوى مرض قاتل كالكوليرا كان سبباً لنشر الوباء بين الحجاج والأهالي أثناء مواسم الحج.

إذاً، فقد نُكبَ الحجاز كغيره من البلاد بكوارث عدة خلال تاريخه ، وكان لتلك الكوارث تأثيرها على حياة الناس فيه، وعلى واقعه السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

إن هذه الدراسة التي تتناول كوارث الحجاز خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) تحاول معالجة جانبين رئيسيين لموضوع كوارث الحجاز خلال هذه الفترة 12-13هـ/18-19م، وهما: التأثيرات التي أفرزتها تلك الكوارث بشقيها الطبيعي والبشري على مجتمع الحجاز من مختلف النواحي السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والفكرية.

بينما يهتم الجانب الثاني بجملة التدابير والجهود التي اتخذتها السلطات المحلية أو الأهالي من جهة، أو الدولة العثمانية من جهة ثانية لمواجهة تلك الكوارث على اختلافها.

وعلى هذا فقد قُسمت الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول خُصص فيها التمهيد لمعرفة أوضاع إقليم الحجاز السياسية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية كمدخل طبيعي لدراسة تاريخه وبالإمكان من خلال التمهيد أيضاً استكشاف الظروف البيئية وعيوب النظامين السياسي والاقتصادي التي تضافرت مع بضعها البعض في حدوث مثل هذه الكوارث خلال هذه الفترة.

فيما يتناول الفصل الأول الكوارث الطبيعية التي حلت بالإقليم خلال فترة القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين /الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين من مجاعات وأوبئة وسيول وظواهر طبيعية أخرى حسب تسلسل وقوعها تاريخياً مع إيضاح ملابسات حدوثها.

ويأتي الفصل الثاني مستكملاً لكوارث الإقليم خلال هذه الفترة حيث يتطرق للكوارث البشرية التي تعرض لها الإقليم كالاضطرابات السياسية والحروب والنزاعات الإقليمية وحوادث الشغب والتعديات.

أما الفصل الثالث فيتناول بالدارسة تأثيرات الكوارث طبيعية وبشرية على مجتمع الحجاز آنذاك من مختلف النواحي، السياسية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية والفكرية.

وتأتي هذه الدراسة ناقصة لو تغافلت عن سبل مواجهة الأهالي والسلطات المحلية في الحجاز لتلك الكوارث، ومواقف الدولة العثمانية منها.

وستسير الدراسية وفق المنهج التاريخي القائم على الوصف والاستقصاء والتحليل والتعليل.

أما عن مصادر الدراسة فقد استخدمت الباحثة مادة متنوعة من حيث الموضوع ومن حيث المعالجات ، كالمصادر الحجازية المعاصرة، وكتب الرحلات العربية والأجنبية، وما توفرت عليه من مراجع ودراسات. وفي هذا الإطار، فليس بين أيدينا ما يمكن أن يوصف بالدراسات السابقة لأن معظم الدراسات التي اعتمدتها الباحثة لم تكن ذات اهتمام خاص بموضوع الكوارث وإنما أوردت تلك الدراسات معلوماتها في سياق معالجة قضايا أخرى نستثني من ذلك الدراسة التي أعدتها الباحثة التركية جولدن صاري يلدز عن الحجر الصحي في الحجاز خلال الفترة 1285 هـ/1868م- 1332 هـ /1914م. وتناولت فيه الباحثة الجهود التي بذلتها الحكومة العثمانية في مواجهة الكوليرا التي تفشت بحدة في الحجاز خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، ودراسة الباحث سمير أحمد شومان والمعنونة بـ "السجل التاريخي للسيول في وادي إبراهيم وأثرها على المسجد الحرام".

وبحث الدكتور هشام فوزي عبد العزيز والذي يحمل عنوان "السيول في مكة المكرمة بين عامي 923-1099هـ/1517-1687م. أما عن الدراسات التي بحثت في أحوال الحجاز السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فهناك العديد منها، إلا أنها لم تتطرق للكوارث في الإقليم، وإن أشار بعضها إلى بعض

النواحي المتصلة بالاضطرابات الأمنية كدراسة حمد محمد القحطاني والمعنونة "بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز في الفترة 1297-1323هـ/1880-1905م، وكما يتضح فإن الفترة التي تناولها الباحث متأخرة وتعود إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري – نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. ومن الدراسات التي بحثت في تاريخ الحجاز خلال فترات من القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين /الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، "الحجاز في القرن الثامن عشر الميلادي" للباحث علي معتوق القط وهي "رسالة ماجستير"، و "الحجاز تحت الحكم العثماني 1869-1914م" لحسام عبد المعطي وهي "رسالة دكتوراه"، و "حكم محمد علي في الحجاز 1234-1256هـ/1819-1840م) لصالح أحمد صالح الترك ،وللباحثة نوال ششة بحث مشابه، وغير ذلك.

أما عن مصادر الدراسة، فإن المصادر الحجازية المعاصرة تأتي في المقام الأول. ومن المؤلفات التي دُونت خلال هذين القرنين 12-13هـ/18-19م تاريخ السنجاري المعروف بـ "منائح الكرم" وتاريخ محمد بن علي بن فضل الطبري المعروف بالجمال الأخير وكتابه المسمى بـ "إتحاف فضلاء الزمن".

"وتاريخ أمراء مكة" لعبد الله عبد الشكور، "وخلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام" لأحمد زيني دحلان وكتاب "تاج تواريخ البشر" لأحمد الحضراوي، و"الأخبار الغريبة في تاريخ طيبة الحبيبة" لجعفر هاشم.

ومن المصادر المهمة خلال هذه الفترة الرحلات، لاسيما رحلات الحج التي دونها أصحابها، فقد كانت بمثابة سجلات مهمة رصد فيها الرحالة ذكرياتهم، وما عايشوه في طريقهم من مشاكل ومصاعب ،إضافة إلى المعلومات المهمة التي حوتها عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية للحجاز إبان هذين القرنين . وتأتي أهمية كتب الرحلات بالنسبة لموضوع الكوارث فيما سجله لنا أولئك الحالة عن

أخبار القحط والمجاعة والسيول والأوبئة وقطع الطريق. ولأجل ذلك كله، فإن كتب الرحلات تعد غنية بمادتها العلمية التي يمكن على ضوئها التوسع شرحاً وتحليلاً في الروايات التي قدمها لنا أولئك الحجاج في رحلاتهم ،فهي بذلك مصدر ثمين لا غنى للباحثين عن الرجوع إليه في تاريخ الحجاز.

وتأتي الرحلات المغربية في مقدمة رحلات الحج نظراً لكثرتها وعناية أصحابها بتدوين مشاهداتهم حول الحجاز خلال تلك الفترة. كما لا يمكن تجاهل الرحلات الأوربية حيث سجلت لنا معلومات جيدة يمكن توظيفها في موضوع كوارث الحجاز.

كما اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع الأخرى من دراسات وثائقية أو وثائق منشورة أو رسائل علمية أو مقالات أو مراجع مختلفة.

أما عن العوائق ،فإن صعوبة الدراسة تكمن في تشعب موضوعها نظراً لصلته بجوانب عدة من تاريخ الحجاز، وطول فترة الدراسة إذا امتدت لأكثر من قرنين، ومع ذلك فقد واجهت الباحثة صعوبة أخرى تمثلت في عدم توفر المصادر. وهذا يعود بلا شك إلى تحول اهتمام المؤرخين المسلمين عن الحجاز منذ أن انتقلت عاصمة الخلافة إلى خارج حدوده. وظل الحجاز بعيداً عن اهتمامات الرواة والمؤرخين المسلمين إلا من بعض مؤرخيه المحليين وهم مع ذلك قلة،فإننا لا نكاد نعثر على مؤرخين أثنين وربما أقل طيلة قرن كامل.

ثم إن الباحث في تاريخ الحجاز تواجهه صعوبة أخرى، إذ ركزت كتابات وروايات المؤرخين المكيين والمدنيين على أخبار وحوادث هاتين المدينتين المقدستين، وأهملوا كثيراً من أخبار الإقليم. ومع ذلك فإن مكة فاقت مدن الحجاز الأخرى عندما ركز المؤرخون على تاريخها نظراً لمكانتها الدينية. ولذلك نجد أن أكثر الحوادث تفصيلاً وضبطاً هي تلك المتعلقة بمكة والمسجد الحرام.

وللأسف فقد ضاع الشيء الكثير من تاريخ هذا الإقليم نتيجة تفشي الجهل، والانصراف عن تدوين

التاريخ بسبب الظروف المعيشية الصعبة التي عاشها أبناء الإقليم في أغلب فترات القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين /الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين . وبسبب التركيز على تدوين التاريخ السياسي لمكة المكرمة أيضاً.

ومن الصعوبات التي يمكن ذكرها؛ صعوبة قراءة بعض المصادر المخطوطة، نظراً لرداءة الخط، أو عدم وضوحه، ورداءة الأسلوب. إضافة إلى الاقتضاب في رواية خبر بعض الحوادث اقتضاباً شديداً بصورة لا يمكن معها إعطاء تفصيلات ولو بسيطة حول بعض الحوادث لاسيما تلك المتعلقة منها بأخبار الوباء والمجاعة. ولم يكن بالإمكان أيضاً الاستعانة بمصادر أخرى للمقارنة بين ما جاء فيها. بسب انعدام مصادر أخرى أو بسبب الانفراد في رواية تلك الأخبار.

وأخيراً، فإنني أرجو من الله التوفيق في عرض هذا الموضوع عرضاً علمياً موثقاً والانتهاء إلى نتائج مهمة تثري الدراسة وتكشف عن بعض غموض تاريخ هذا الإقليم خلال فترة الدراسة.

تمهيد

الحجـــــاز

- وضعه الإداري والسياسي.
- أوضاعه الجغرافية والسكانية.

الحجاز (وضعه الإداري والسياسي)

طرأت بعض التغييرات الإدارية على وضع إقليم الحجاز خلال العصر العثماني الثاني لاسيما بعد صدور نظام الولايات. فقد تحول الحجاز من إيالة إلى ولاية بعد أن رأت السلطات العثمانية أن الحجاز قد تأهل من المنظور الإداري والأمني للارتقاء إلى مستوى الولاية[1]. وقد أصبحت تلك الولاية تضم متصرفيتين (لواءين) وخمسة أقضية وست نواح وكانت مكة إمارة بذاتها، وأطلِقت صفة المتصرفية على المدينة وجدة[2].

ومما يجدر ذكره أن الوضع الإداري للحجاز قد تباين خلال فترة الحكم العثماني وكان له الإشراف الإداري على بعض النواحي خارج أراضيه. فقد كانت جدة تشرف على ما عرف بولاية الحبش[3] واستمر هذا الارتباط الإداري بين جدة ومناطق من شرق أفريقيا حتى القرن التاسع عشر الميلادي وإن أصبح ارتباطها اسمياً منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي[4]. كذلك فإن السلطات العثمانية ألحقت القصيم والذي كان مرتبطاً بقائم مقامية نجد بالمدينة المنورة، وكذلك الحال بالنسبة لجبل شمر. وربطت النواحي المالية والإدارية في المدينة واليمن بولاية الحجاز[5].

---

(1) سهيل صابان، **مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز**. التسلسل 91، ص 93، تاريخ 29 ذو الحجة 1285هـ.

(2) ساطع الحصري، **البلاد العربية والدولة العثمانية**، ط2 (بيروت: دار العلم للملايين، 1960م)، 214.

(3) تشمل ولاية الحبشة الساحل الغربي للبحر الأحمر من سواكن إلى مصوع وللمزيد أنظر: أحمد إبراهيم دياب، العلاقة بين جدة وسواكن، **في: الندوة العالمية الأولى لمصادر وتاريخ الجزيرة العربية، 5-10 جمادى الأولى 1397هـ الموافق 23-28 أبريل 1977م**، الكتاب الأول، ج2(الرياض: جامعة الرياض، 1399هـ- 1979م) 207-213.

(4) صابرة مؤمن إسماعيل، **جدة خلال الفترة 1286 ــ 1326هـ/ 1869-1908م، دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة** (الرياض: دار الملك عبد العزيز، 1418 هـ) ، 8.

(5) سهيل صابان، **مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز**، رقم الأوراق 1072، متسلسل 93 ، ص 95، تاريخ 29 ذو الحجة 1285هـ.

كما فصلت بلاد غامد وزهران عنه وألحقتها بإدارة عسير، وفي آخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي طالبت قبائل غامد وزهران بعودة الارتباط بالحجاز بغية الحصول على بعض الاستثناءات المحلية، ولكن السلطات العثمانية رفضته حتى لا يتسبب ذلك في تشجيع قبائل أخرى للمطالبة بمثل ذلك. وتقرر إبقاؤها تحت إدارة عسير. كما تقرر ربط بعض الأماكن في قضاء القنفذة والليث ودوقة[6] بعسير أيضاً[7].

أما عن النظام السياسي، فمنذ أن دخل الحجاز تحت السيادة العثمانية بقيت أوضاعه على ما هي عليه. أي إبقاء العثمانيين لنظام الشرافة، والاعتراف بنفوذ الأشراف الذين تمتعوا بقدر كبير من الاستقلال منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[8]. وقد حصل الأشراف نتيجة لمكانتهم المرموقة على امتيازات عدة من لدن العثمانيين. فقد كانوا معفين من الضرائب، ومن إنزال العقوبات الشديدة بحقهم. كما حظي أمير مكة بمكانة رفيعة في التشريفات، حيث كان اتصاله المباشر بالصدر الأعظم، وكان يأتي ذكره في البروتوكول العثماني بعده مباشرة[9].

اكتفى العثمانيون بوجود عسكري في جدة بقيادة سنجق عثماني على رأس فرقة عسكرية حلت محل الجيش المملوكي المهزوم. ويقيم إلى جانبه موظف مدني تابع لإمارة مكة يتولى إدارة شؤون الأهالي في جدة

---

(6) اسم لواد في تهامة ،ثم قامت على مصبه قرية .وهذا الوادي يقطع درب اليمن على بعد 283 كم عن مكة.عاتق بن غيث البلادي ،**بين الحجاز واليمن**، ط1(مكة المكرمة:دار مكة للنشر والتوزيع،1414هـ، 67.

(7) سهيل صابان، **مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز** ، متسلسل 178، 18 بتاريخ 24 جمادي الثانية 1288 هـ.

(8) في عام 358هـ/968م استقل جعفر ابن محمد بأمر مكة. ومنذ ذلك الحين ظل الأشراف يتعاقبون على حكم الحجاز حتى دخول الملك عبد العزيز إلى الحجاز عام 1344هـ–1925م وسلّم علي بن الحسين مقاليد الأمور لجلالته. وخلال الفترة من القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي وحتى القرن الرابع عشر الهجري – العشرين الميلادي حكمت أربع طبقات من الأشراف؛ وهي طبقة "الموسويون"، وطبقة "السليمانيون"، وطبقة "الهواشم"، وطبقة "القتاديون" وينتمي أغلب حكام مكة من الأشراف إلى الطبقة الأخيرة، فقد كانت هي الطبقة الأطول حكماً بين بقية الطبقات وينتمي إلى هذه الطبقة ذوو بركات وذوو زيد وذوو عون.

(9) فائق بن بكر الصواف، **العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز**، القاهرة: مطابع سجل العرب 1398هـ / 1978م)، 48 – 49.

عُرف بلقب "وزير جدة"[10].

وبحكم منصب السنجق، فإنه كان يشارك في عزل الأمير المخلوع من أشراف مكة، ويحضر مراسم حفل تنصيب الأمير الجديد، ويشارك في مراسم التنصيب بتقديم الخُلعة[11].

وكان ذلك السنجق يتلقى أوامره من دار السلطنة، وفي بعض الأحيان عن طريق الوالي العثماني في مصر، والذي كان يملك الحق في تقديم مقترحاته في شأن ولاية مكة، فقد وثق السلاطين العثمانيون بولاة مصر، وكانوا يأخذون بآرائهم نظراً لقربهم من الحجاز[12].

وقد تحول سنجق جدة العسكري إلى موظف مدني منذ عام 1256هـ/1840م بعد أن عادت للدولة العثمانية السيطرة فعلياً على الحجاز بعد رحيل قوات محمد علي من شبه الجزيرة العربية، ثم تحول مقر السنجق العثماني إلى مكة المكرمة عام 1287هـ/1870م، وأصبح يعرف بوالي الحجاز[13]. وجمعت الدولة العثمانية لهذا الوالي بين منصبه المدني وقيادة الجيش حيث كان يتم اختياره من بين كبار قواد الجيش[14]. وفي ظل هذا الوضع كان الحجاز يدار بشكل ثنائي .وقد خلق ذلك مزيداً من المشاكل في الإقليم خصوصاً أن الدولة العثمانية لم تضع سياسة محددة وواضحة للعلاقة بين الشريف والوالي العثماني، أو تحديد اختصاصاتهما وصلاحياتهما[15].

أما جدة فقد تحولت إلى متصرفية تحت رئاسة موظف أطلق عليه "القائمقام" وعرف متصرف المدينة

---

(10) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، جـ2(الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، 1419هـ/1999م)، 514

(11) أحمد السباعي، **المرجع السابق**، 515.

(12) أحمد السباعي، **المرجع نفسه**، جـ2، 514-515.

(13) إسماعيل حقي أوزون جارشلي، **أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني** ،ترجمة:خليل علي مراد(البصرة: مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة،1406 هـ/1985م)

(14) الصفصافي أحمد المرسي، "الدولة العثمانية والولايات العربية"، **مجلة الدارة**، ع4، س8، الرياض رجب 1403هـ، 730.

(15) جورج أنطونيوس، **يقظة العرب**، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط7 (بيروت: دار العلم للملايين، 1982م)، 133

المنورة بـــ "المحافظ"[16]. وظلت بقية مدن الحجاز تابعة في حكمها لإمارة مكة يباشر شؤونها أحد المنتمين للشريف في مكة يشاركهم السلطة فيها بعض كبار الموظفين العثمانيين[17].

وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي كان للحجاز" مجلس حكومي يتألف من قاضي مكة والدفتردار[18]، ومدير الحرم والمكتوبجي[19]، ونقيب الأشراف، ونقيب السادة، ونائب الحرم، وصاحب سدانة البيت، ومفتي الحنفية، وقائمقام الشريف في مكة، ومدير الصحة. وإلى جانب هذا المجلس، كانت هناك مجالس محلية في جدة والطائف ورابغ تضم القائمقام، ونائب الشرع، ومال مدير[20]، وبعض الأهالي الذين يرشحهم أمير مكة"[21].

وكانت في مكة "محكمة يطلق عليها ديوان التمييز، وهي بمثابة محكمة نظامية تنظر في الدعاوى المدنية والجنائية. وتتألف من نائب الشرع الشريف، وثلاثة من الأعضاء المنتخبين من أهالي مكة، وقائم مقام الشريف"[22].

أما القبائل فلهم مجالس عرفية تنظر في أمورهم، وتتألف من القاضي، وبعض الشيوخ، ورؤساء القبائل. ولأصحاب القضايا حق رفض أحكام هذه المجالس، واستئنافها عند أمير مكة، وهو إما يؤيد الأحكام الصادرة، أو يعدّلها، ويكون حكمه نافذ المفعول، وللمدعين الحق في إقامة من يدافع عنهم أثناء محاكمتهم[23].

([16]) الصفصافي، **المرجع السابق**، 84.
([17]) أحمد السباعي، **المرجع السابق**، جـــ2، 514.
([18]) في الفارسية بمعنى من يتولى أمر الدفتر ومعناها كبير المحاسبين وتطلق على من يتولى النظر في صادرات وواردات الدولة. وهو بمثابة وزير المالية. وتطلق على من يتولى تدبير الشؤون المالية في ولاية من الولايات. أنظر: حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 1425هـــ/2004م).
([19]) كاتب أسرار الولاية أو أمين السر.
([20]) مأمور المالية.
([21]) محمد لبيب البتنوني، **الرحلة الحجازية**، ط3 (الطائف: المعارف، د: ت)، 39.
([22]) البتنوني، **المرجع السابق** ، 39
([23]) البتنوني، **المرجع نفسه** ، 39.

الحجاز (أوضاعه الجغرافية والسكانية)

التضاريس :-

تتكون أرض الحجاز من سهل ساحلي يعرف بتهامة الحجاز، والمرتفعات والتي تعرف بجبال الحجاز أو السروات، وبعض الهضاب. فأما السهل فيمتد بمحاذاة البحر الأحمر، وهو سهل رملي ضيق، إذ تكاد الجبال تقترب من البحر في بعض المواضع منه خاصة في الجهات شمال الوجه[24]. ويضيق حتى يتصل بالساحل تماماً عند منطقة حلق الكلاوة عند أطراف جبال مدين[25]. فيما يتسع قليلاً عند مصب الأودية كما هو الحال عند رابغ ومستورة وغرب بدر[26].

يتألف سهل تهامة من الرمال وتكوينات رسوبية قارية وبحرية، تنتشر في بعض أجزائه المسكوبات البركانية التي نتجت عن صدوع وانزلاقات[27].

وتصب في سهل تهامة الحجاز مجموعة من الأودية التي تتصف بشدة الانحدار وعمق مجاريها الضيقة ومن أهمها، وادي فاطمة، ورابغ، والصفراء، والحمض، والحمراء، والسيل، و رضوى(28).

أما المرتفعات فيمكن تقسيمها إلى مرتفعات ساحلية، وأخرى داخلية. تبتدئ المرتفعات الساحلية بجبال مدين في الشمال وتمتد بموازاة السهل الساحلي، وقد نتجت عن عملية الانهدام التي أحدثت حفرة البحر الأحمر ولذلك كانت تضاريسها معقدة، فهي تتكون من مجموعات من النجود المرتفعة إلى جوار أغوار

([24]) محمد صادق الشريف، **جغرافية المملكة العربية السعودية**، جـ1 (الرياض: دار المريخ، د.ت)، 44.
([25]) عبد الحفيظ محمد سعيد سقا، **الجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية**، ط2 (جدة: د. ت، 1419هـ - 1998م) 62.
([26]) محمد شاكر، **شبه جزيرة العرب**، جـ3 (د. م : المكتب الإسلامي، د. ت)، 12.
([27]) محمد صادق الشريف، المرجع السابق، 46.
([28]) فؤاد حمزة، **قلب جزيرة العرب**، ط2 (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، 388هـ - 1868م)، 54. وللمزيد عن أودية الحجاز أنظر: محمود شاكر، **المرجع السابق**، 30 - 37.

عميقة تحولت بفضل عوامل التعرية إلى كتل جبلية وتلال مختلفة الأشكال. وقد شغلت الوديان تلك الأغوار وزادت من تعقيد سطحها[29]. ويتراوح متوسط ارتفاعها من 700 إلى 800م، وأعلى جبالها يقع شرق خليج العقبة حيث يصل ارتفاعه إلى 2579م[30].

أما المرتفعات الداخلية فإنها تلي المرتفعات الساحلية شرقاً وهي في الواقع القسم الجبلي الحقيقي في الحجاز، وتنحدر سفوح هذه الجبال انحداراً تدريجياً نحو الشرق، في حين تنحدر بشدة وبشكل عمودي أحياناً نحو الغرب. ولذلك فإن خط تقسيم المياه بين الوديان التي تتجه غرباً نحو البحر الأحمر يقع في طرفها الغربي ويسمى بالشعاف[31] وتقع في هذه الكتلة من الجبال تيماء وخيبر والمدينة، كما يقع في الجزء الجنوبي منها الطائف والتي يصل ارتفاع بعض الجبال فيه إلى أكثر من 2500 كم2[32].

أما عن منطقة الهضاب فإن إقليم الحجاز يشكل جزءاً من الهضاب الغربية، وتبدأ من أقصى الشمال بهضبة الحسمي الواقعة بين وادي السرحان وجبال السراة، وهي متممة لمنطقة الحصمة في الأردن، ويبلغ معدل ارتفاعها 900م[33].

تليها هضبة الحجاز الممتدة من جنوب هضبة الحسمي وحتى شمال خيبر، ويزيد معدل ارتفاعها عن الألف متر[34]. تليها الحرَّات والتي هي في الأصل مسكوبات بركانية، لعل من أشهرها العويرض بين تبوك والعلا[35]. وتتصل بها حرة الرحا[36]. ثم حرة خيبر والتي تعرف بحرة النار، وتقع في شمال شرق

([29]) محمد صادق الشريف، **المرجع السابق**، 49.
([30]) محمود شاكر، **المرجع السابق**، 13.
([31]) محمد صادق الشريف، **المرجع السابق**، 50.
([32]) محمد صادق الشريف، **المرجع نفسه** ، 50.
([33]) محمود شاكر، **المرجع السابق**، 14.
([34]) محمود شاكر، **المرجع نفسه**، 14؛ محمد صادق الشريف، **المرجع نفسه** ، 51.
([35]) محمود شاكر، **المرجع نفسه**، 15.
([36]) حسين حمزة بندقجي، **جغرافية المملكة العربية السعودية**، ط 3 (جدة: حسين حمزة بندقجي، 1401 هـ - 1981م)، 83.

المدينة المنورة وتتصل من الشمال الشرقي بحرة هتيم أو حرة اثنين، ويعرف جنوبها الشرقي باسم حرة فدك، أما القسم الغربي وحتى وادي القرى فيسمى بحرة ليلى[37].

وحرة الكرما تقع في شرق المدينة المنورة وتصل بين حرتي خيبر وبني سليم. أما حرة بني سليم – وتُعرف برهاط أيضاً – فتمتد من المدينة المنورة إلى قرب الطائف، وتتصل بها حرة أبو راشد، وإلى الشرق من حرة بني سليم تقع حرة القشب[38].

مناخ الحجاز :-

يقع الحجاز بين خطي عرض 20–30 شمالاً ويكون بذلك ضمن النطاق الصحراوي[39]. إلا أن الحرارة تعتدل صيفاً في الجبال، وتنخفض فيها شتاء. بينما في التهامة ترتفع الحرارة صيفاً وتتميز بالدفء شتاء. ولا يؤثر وجود البحر الأحمر في الحجاز تأثيراً كبيراً لانخفاضه وضيقه وانحصاره بين الجبال، وإنما ينحصر تأثيره في زيادة الرطوبة في التهامة، وسقوط بعض الأمطار القليلة، وحدوث الضباب[40].

أما عن أمطار الحجاز فهي قليلة ومتذبذبة بشكل عام. وفي بعض السنوات قد تسقط الأمطار بكميات غزيرة فتتوفر المياه ويعم الرخاء في الحجاز، وقد تنعدم لعدة سنوات فيحل القحط والجفاف، ويودي بحياة الناس والحيوانات، وهجرة السكان. وقد تهطل الأمطار بغزارة في مدة وجيزة، وتجري على هيئة سيول جارفة سريعة الجريان ينتج عنها خسائر بشرية ومادية فادحة من قتل وتشريد للسكان، وتدمير للممتلكات من مساكن ومزارع ومتاجر، وإهلاك للحيوانات من ماشية ودواجن.

---

(37) محمود شاكر، **المرجع السابق**، 15.
(38) محمود شاكر، **المرجع نفسه** ،15؛ حسين بندقجي، **المرجع السابق**، 83.
(39) محمود شاكر، **المرجع** نفسه، 17.
(40) محمود شاكر، **المرجع نفسه**، 17.

المياه في الحجاز:-

تعتبر مياه الأمطار المصدر المائي الوحيد في الحجاز. وقد تجري السيول عقب هطول الأمطار، ثم لا تلبث أن تجف نتيجة ارتفاع درجات الحرارة مما يتسبب في تبخر جزء منها، وتسرب جزء آخر في باطن التربة، بينما يصب قسم منها في البحر[41]. وهذا يعني ضياع جزء كبير من مياه الأمطار والتي هي في الأصل قليلة.

من جهة أخرى فإن طبيعة الأرض الحجازية المتكونة من الصخور النارية والمتحولة لا تسمح بالاحتفاظ بالمياه. لذا كانت مياه الحجـــاز الجوفية سطحية وقليلة[42].

يتميز الحجاز بكثرة أوديته، ولكن مياه تلك الأودية من عيون وآبار تعتمد على الأمطار في تغذيتها. ففي الأوقات التي تهطل فيها الأمطار بغزارة يزيد إنتاج تلك العيون والآبار، مما يؤثر على الإنتاج الزراعي في الحجاز، وزيادة المساحة المزروعة[43]. وفي أزمنة الجفاف ينقطع جريان بعض العيون وتجف الآبار مما يزيد حجم مشكلة نقص المياه في هذا الإقليم.

وعموماً فإن كميات المياه المتوافرة عن طريق الأمطار الساقطة تقل عن حاجة الحياة البشرية في الأجزاء الشمالية والوسطى من ساحل البحر الأحمر، الأمر الذي جعل بعض المناطق لا تحصل على حاجتها الكاملة من المياه. وفي مناطق أخرى من الساحل قد تنعدم المياه[44].

كما يمكن القول إنه في ظل الظاهرات التضاريسية، والظروف الجيولوجية والمناخية الحارة والجافة،

([41]) محمود شاكر، **المرجع السابق** ، 30.
([42]) محمود شاكر، **المرجع نفسه**، 30.
([43]) محمود محمد سيف، **جغرافية المملكة العربية السعودية** (د.م: دار المعرفة الجامعية، 1996م)،222– 223
([44]) محمد أحمد الرويثي، **الموانئ السعودية على البحر الأحمر**، ط1 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1403هـ/1983م) ، 88.

إلى جانب معدلات التبخر العالية السائدة في الحجاز فقد انعدمت ظاهرة الوديان دائمة الجريان[45].

سكان الحجاز:-

يسكن الحجاز عدد من القبائل العربية ذات الأصول العدنانية والقحطانية، لعل أشهر تلك القبائل حرب[46] وعتيبة[47] وجهينة[48] وهذيل[49] والجحادلة[50] والبقوم[51] ومطير[52] وسبيع[53] وقريش[54] وثقيف[55] وسليم[56]، وبلي[57]، وبنو عطية[58].

([45]) محمد الرويثي، **المرجع السابق** ،91.

([46]) قبيلة كبيرة تنتشر في الحجاز ونجد وشمال شبه الجزيرة العربية، ولكن مقرها الأصلي بين المدينة المنورة وجدة ومكة المكرمة. (حمود بن ضاوي القثامي، **شمال الحجاز**، جـ2 (جدة: دار البيان العربي ، 1406هـ/1985م) 310 وللمزيد أنظر: شرف البركاتي، **مصدر سابق**، 110 – 111؛ حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة** ، ط1 جـ1 ، 149

([47]) وللمزيد عن هذه القبيلة أنظر: حمود بن ضاوي القثامي، **المرجع السابق**، 223 – 247.

([48]) منازلها بين المدينة وينبع ويذكر البعض أنها في اتحاد دائم مع قبيلة بلي ومنازلهما متقاربة. للمزيد أنظر. عبد الكريم بن محمود الخطيب، **تاريخ جهينة**، ط3 (الرياض: دار الخطيب للنشر والتوزيع ، 1418هـ /1997م)؛ حمود بن ضاوي القثامي، **المرجع السابق**، 310.

([49]) منازلها في الطائف وشمال وجنوب مكة وللمزيد أنظر:البلادي،**معجم قبائل الحجاز**، 539 –549.

([50]) منازلها جنوب مكة، وللمزيد عنها أنظر: عاتق بن غيث البلادي ، **معجم قبائل الحجاز**، 79.

([51]) تقيم هذه القبيلة في شرق الطائف وتربة وتحاذيها من الشمال والغرب قبيلة عتيبة ومن الجنوب بني حارث وغامد ومن الشرق سبيع وللمزيد عنها أنظر: عاتق البلادي، **معجم قبائل الحجاز**؛ حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**.

([52]) واحدة من أكبر القبائل في شبه الجزيرة العربية. منازلها في نجد والحجاز وشمال شبه الجزيرة وشرقها والكويت وللمزيد عنها أنظر؛ عاتق البلادي ، **معجم قبائل الحجاز**، 498 –500.

([53]) منازلها الأصلية في رنية والخرمة ويقيم بعض من هذه القبيلة في نجد وشرق شبه الجزيرة العربية وللمزيد حولها أنظر:البلادي، **معجم قبائل الحجاز**، **211**.

([54]) من أعرق القبائل العدنانية وموطنها الأصلي مكة المكرمة وينتمي إليها أسر الأشراف. للمزيد حول هذه القبيلة، أنظر: عاتق البلادي، **معجم قبائل الحجاز**، **417** –421؛ حمد القحطاني، **مرجع سابق**: 203 – 206

([55]) قبيلة حجازية معروفة منازلها في الطائف وللمزيد عنها أنظر: البلادي، **معجم قبائل الحجاز**،66 –68.

([56]) قبيلة حجازية عريقة كانت ديارها معظم حرة الحجاز. هاجر قسم منها إلى شمال أفريقيا. أنظر: البلادي ، **معجم قبائل الحجاز**، 226 –229 .

([57]) ينزلون في الغالب شمال الحجاز وفي شمال المدينة المنورة وحول ينبع وأملج والوجه وقرب العلا وساحل البحر الأحمر. (حمود بن ضاوي القثامي، **المرجع السابق**، 310).

([58]) منازلها في النصف الشمالي من حرة العويرض حتى حرة المواهيب، ومدينة تبوك هي قاعدتهم. يجاورون الحويطات من الشرق، وينزلون معهم أحياناً. وينتشر أبناء هذه القبيلة في الأردن ويعرفون بالعطاونة. وفي مصر ويعرفون بالمعازة. للمزيد عن بني عطية أنظر: حمود بن ضاوي القثامي، **مرجع سابق**، 281، 311؛ البلادي، **قبائل الحجاز**، 49.

وبنو الحارث[59]، وفهم[60]، وبنومالك[61]، والحويطات[62] وعنزة[63] وغيرها. ويشكل أبناء هذه القبائل السكان الأصليين للإقليم. فيما استوطنت عناصر وافدة الحجاز منذ قرون وينتمي هؤلاء الوافدون إلى بلدان عدة كمصر والشام والمغرب والعراق واليمن وأفريقيا وتركيا والهند و جاوه و بخارى و أفغانستان وغيرها من البلدان[64].

بعض هؤلاء الوافدين جاءوا بقصد المجاورة. إلا أن التطورات التي جرت على مسرح الأحداث في بلدان العالم الإسلامي لعبت دوراً في زيادة هجرة جماعات من أبناء تلك الشعوب إلى الحجاز لاسيما خلال العصر العثماني الثاني فقد فرَّ هؤلاء من آسيا الوسطى والهند وجاوه والهند الصينية وأفريقيا بعد الهجمة الاستعمارية خلال القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)[65].

---

(59) منازلها جنوب الطائف، وديارها مستطيلة الشكل تمتد من تهامة على حدود الليث غرباً إلى منازل البقوم وغامد شرقاً (وللمزيد أنظر الشريف محمد بن منصور، **قبائل الطائف وأشراف الحجاز**، ط1 (1401هـ/1981م، 137-153).

(60) قبيلة صغيرة تسكن جنوب مكة وجبل كرى شمال الطائف (للمزيد أنظر: محمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، 632؛ البلادي، **معجم قبائل الحجاز**، 407).

(61) تقع منازل بني مالك جنوب الطائف وشرق الليث (للمزيد أنظر: البلادي، **معجم قبائل الحجاز**، 462).

(62) تقع منازلها حول تبوك وتيماء، وجبال حسمي والمدورة ومعان والكرك والبتراء وحقل والبدع وأبا الحنشان وعلقان وذات الحاج. يذكر البعض أنها من بقايا ثمود، وقيل من الأنباط. وقيل من أصول قحطانية. للمزيد أنظر: (حمود بن ضاوي القثامي، **مرجع سابق**، 280 – 296، 310؛ حمد القحطاني، **مرجع سابق** ، 187 – 189).

(63) منازل هذه القبيلة جنوب وادي السرحان وبادية سوريا وبادية العراق والقصيم والوشم ومنازلها في الحجاز شمال المدينةوللمزيد أنظر:البلادي ،**معجم قبائل الحجاز**، 358 -360.

(64) أحمد سعيد بن سلم، **المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري**، ط1 (د. م: د. ن، 1414هـ/1993م)، 51 – 53.

(65) محمد محمود السرياني "السكن الحضري" **من أبحاث المدينة المنورة البيئة والإنسان**، ط1 (المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي والنادي الأدبي الثقافي بجدة، 1418هـ/1419هـ – 1997م – 1998م) 184.